باب ما جاء فى حماية المصطفى ﷺ

جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك

وقوله الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾[1]. الآية.

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لاَ تَجعَلُوا بُيوتَكُم قُبُوراً وَلاَ تَجعَلُوا قَبرِىَ عِيداً وَصَلُّوا عَلَىَّ فَإنَّ صَلاَتَكُم تَبلُغُنِى حَيثُ كُنتُم**»[2] رواه أبو داود بإسناد حسن ورواته ثقات.

وعن علىّ بن الحسين رضى الله عنه (أنه رأى رجلا يجىء إلى فرجة كانت عند قبر النبى ﷺ؟ فيدخل فيها فيدعو، فنهاه.

وقال: ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبى عن جدى عن رسول الله ﷺ قال: «**لاَ تَتَّخِذُوا قَبرِىَ عِيداً، وَلاَ بُيوتَكُم قُبُوراً، وَصَلُّوا عَلَىَّ فَإنَّ**

باب ما جاء فى حماية المصطفى ﷺ

جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك

من تأمل نصوص الكتاب والسنة فى هذا الباب رأى نصوصا كثرة تحث على القيام بكل ما يقوى التوحيد وينميه ويغذيه، من الحث على الإنابة إلى الله وانحصاره تعلق القلب بالله رغبة ورهبة وقوة الطمع بفضله وإحسانه والسعى لتحصيل ذلك وإلى التحرر من رق المخلوقين وعدم التعلق بهم بوجه من الوجوه أو الغلو فى أحد منهم. والقيام التام بالأعمال الظاهرة والباطنة وتكميلها، وخصوصا حث النصوص على روح العبودية وهو الإخلاص التام لله وحده.

(١) سورة التوبة آية: (١٢٨).

(٢) أبو داود: ك(٥) ب(١٠٠) ح(٢٠٤٢) صحح. أحمد: (٢/ ٣٦٧/ رقم: ٨٨٢٥)صحيح.

تَسلِيمَكُم يبلُغُنى حَيثُ كُنتم» رواه فى المختارة.

فيه مسائل

الأولى: تفسير آية براءة.

الثانية: إبعاده أمته عن هذا الحمى غاية البعد.

الثالثة: ذكر حرصه علينا ورأفته ورحمته.

الرابعة: نهيه عن زيارة قبره على وجه مخصوص، مع أن زيارته من أفضل الأعمال.

الخامسة: نهيه عن الإكثار من الزيارة.

السادسة: حثه على النافلة فى البيت.

السابعة: أنه متقرر عندهم أنه لا يصلى فى المقبرة.

الثامنة: تعليل ذلك بأن صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وإن بعد فلا حاجة إلى ما يتوهمه من أراد القرب.

التاسعة: كونه ﷺ فى البرزخ تعرض أعمال أمته فى الصلاة والسلام عليه.

ثم فى مقابلة ذلك نهى عن أقوال وأفعال فيها الغلو بالمخلوقين.

ونهى عن التشبه بالمشركين لأنه يدعو إلى الميل إليهم.

ونهى عن أقوال وأفعال خشى أن يتوسل بها إلى الشرك كل ذلك حماية للتوحيد.

ونهى عن كل سبب يوصل إلى الشرك، وذلك رحمة بالمؤمنين ليتحققوا بالقيام بما خلقوا له من عبودية الله الظاهرة والباطنة وتكميلها لتكمل لهم السعادة والفلاح. وشواهد هذه الأمور كثيرة معروفة.

باب ما جاء أن بعض هذه الأمة تعبد الأوثان

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾[3].

عن أبى سعيد رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ مَن كَانَ قَبلَكُم، حَذوَ القُذَّةِ بِالقُذَّةِ حَتَّى لَو دَخَلُوا جُحرَ ضَبٍّ لدخلتموه» قالوا يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قَالَ «فَمَن»[4]؟ أخرجاه.

باب ما جاء أن بعض هذه الأمة تعبد الأوثان

مقصود هذه الترجمة الحذر من الشرك والخوف منه، وإنه أمر واقع فى هذه الأمة لا محالة، والرد على من زعم أن من قال: لا إله إلا الله وتسمى بالإسلام أنه يبقى على إسلامه ولو فعل ما ينافيه من الاستغاثة بأهل القبور ودعائهم، وسمى ذلك توسلا لا عبادة فإن هذا باطل.

فإن الوثن اسم جامع لكل ما عبد من دون الله لا فرق بين الأشجار والأحجار والأبنية، ولا بين الأنبياء والصالحين والطالحين فى هذا الموضع وهو العبادة فإنها

---

(١) سورة النساء آية: (٥١).

(٢) سورة المائدة آية: (٦٠).

(٣) سورة الكهف آية: (٢١).

(٤) ك(٦٠) ب(٥٠) ح(٣٤٥٦) طرفه (٧٣٢٠) البخارى. مسلم: ك(٤٧) ب(١) ح(٢٦٦٩). أحمد(٣/ ٨٤/ رقم: ١١٨٠٦) صحيح. (٣/ ٨٩/ رقم: ١١٨٤٩) صحيح.

ولمسلم عن ثوبان رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ زَوَى لِيَ الأَرضَ، فَرَأَيتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبلُغُ مُلكُهَا مَا زَوَى لِيَ مِنهَا، وَأُعطِيتُ الكَنزَينِ الأَحمَرَ وَالأَبيَضَ، وَإِنِّي سَأَلتُ رَبِّي لأُمَّتِي أَن لاَ يُهلِكَهَا بِسنة بِعَامَّةٍ، وَأَن لاَ يُسَلِّطَ عَلَيهِم عَدُوّاً مِن سِوَى أَنفُسِهِم فَيَستَبِيحَ بَيضَتَهُم، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لاَ يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعطَيتُكَ لأُمَّتِكَ أَن لا أُهلِكَهُم بِسُنَّةٍ بِعَامَّةٍ وَأَن لاَ أُسَلِّطَ عَلَيهِم عَدُوّاً مِن سِوَى أَنفُسِهِم فَيَستَبِيحَ بَيضَتَهُم، وَلَو اجتَمَعَ عَلَيهِم مَن بِأَقطَارِهَا، حَتَّى يَكُونَ بَعضُهُم يُهلِكُ بَعضاً وَيَسبِي بَعضُهُم بَعضاً»[1].

ورواه البرقانى فى صحيحه، وزاد «وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الأَئِمَّةَ المُضِلِّينَ، وَإِذا وَقَعَ عَلَيهِم السَّيفُ لَم يُرفَعَ إِلَى يَومِ القِيَامَةِ، وَلاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَلحَقَ حَيٌّ مِن أُمَّتِي بِالمُشرِكِينَ، وَحَتَّى تَعبُدَ فِئَامٌ مِن أُمَّتِي الأَوثَانَ، وَأَنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلاَثُونَ كُلُّهُم يَزعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَأَنا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، لاَ نَبِيَّ بَعدِي، وَلاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِن أُمَّتِي عَلَى الحَقِّ مَنصُورَةً لاَ يَضُرُّهُم مَن خَذَلَهُم وَلاَ مَن خَالَفَهُم حَتَّى يَأتِيَ أَمرُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى».

«فيه مسائل»

الأولى: تفسير آية النساء.

حق الله وحده، من دعا غير الله أو عبده فقد اتخذه وثنا وخرج بذلك عن الدين، ولم ينفعه انتسابه إلى الإسلام، فكم انتسب إلى الإسلام من مشرك وملحد وكافر منافق. والعبرة بروح الدين وحقيقته لا بمجرد الأسامى والألفاظ التى لا حقيقة لها.

---

(١) مسلم: ك(٥٢) ب(٥)ح(٢٨٨٩) أبو داود: ك(٢٩) ب(١) ح(٤٢٥٢) صحيح، الترمذى: ك(٣٣) ب(١٣) ح(٢٢٧٧) صحيح ابن ماجه: ك(٣٦) ب(٩) ح(٣٩٥٢) حسن لغيره أحمد: (٥/ ٢٧٨/ رقم: ٢٢٤٥٧) صحيح. (٥/ ٢٨٤/ رقم: ٣(٢٢٥) صحيح.

الثانية: تفسير آية المائدة.

الثالثة: تفسير آية الكهف.

الرابعة: وهى أهمها، ما معنى الإيمان بالجبت والطاغوت فى هذا الموضع هل هو اعتقاد قلب أو هو موافقة أصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها.

الخامسة: قولهم أن الكفار الذين يعرفون كفرهم أهدى سبيلا من المؤمنين.

السادسة: وهى المقصود بالترجمة أن هذا لابد أن يوجد فى هذه الأمة كما تقرر فى حديث أبى سعيد فى جموع كثيرة.

السابعة: تصريحه بوقوعها أعنى عبادة الأوثان في هذه الأمة.

الثامنة: العجب العجاب خروج من يدعى النبوة مثل المختار مع تكلمه بالشهادتين وتصريحه بأنه من هذه الأمة، وأن الرسول حق، وأن القرآن حق. وفيه أن محمدا خاتم النبيين، ومع هذا يصدق فى هذا كله مع التضاد الواضح، وقد خرج المختار فى آخر عصر الصحابة وتبعه فئام كثيرة.

التاسعة: البشارة بأن الحق لا يزول بالكلية كما زال فيما مضى بل لا تزال عليه طائفة.

العاشرة: الآية العظمى أنهم مع قتلهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم.

الحادية عشرة: أن ذلك الشرط إلى قيام الساعة.

الثانية عشرة: ما فيه من الآيات العظيمة، منها إخباره بأن الله زوى له

المشارق والمغارب وأخبر بمعنى ذلك، فوقع كما أخبر بخلاف الجنوب والشمال، وإخباره بأنه أعطى الكنزين، وإخباره بإجابة دعوته لأمته فى الاثنتين، وإخباره بأنه منع الثالثة، وإخباره بوقوع السيف، وأنه لا يرفع إذا وقع، وإخباره بإهلاك بعضهم بعضا وسبى بعضهم بعضا وخوفه على أمته من الأئمة المضلين وإخباره بظهور المتنبئين فى هذه الأمة، وإخباره ببقاء الطائفة المنصورة. وكل هذا وقع، كما أخبر، مع أن كل واحدة منها من أبعد ما يكون فى العقول.

الثالثة عشرة: حصر الخوف على أمته من الأئمة المضلين.

الرابعة عشرة: التنبيه على معنى عبادة الأوثان.

باب ما جاء فى السحر

وقول الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ**﴾[1] وقوله: ﴿**يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ**﴾[2].

قال عمر: «الجِبت: السحر، والطاغوت: الشيطان»[3].

وقال جابر: «الطواغيت: كهان، كان ينزل عليهم الشيطان، فى كل حى واحد»[4].

وعن أبى هريرة رضى الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**اجتَنِبُوا السَّبعَ المُوبِقَات**» قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «**الشِّركُ بِاللهِ، وَالسِّحرُ، وَقَتلُ النَّفسِ التى حَرَّمَ اللهُ إلاَّ بالحَقِّ، وَأَكلُ الرِّبَا، وَأَكلُ مَالَ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّى يَومَ الزَّحفِ، وَقَذفُ المحصِنَاتِ الغَافِلاَتِ المُؤمِنَاتِ**»[5].

وعن جندب مرفوعا: «**حَدُّ السَّاحِرِ ضَرَبَةٌ بِالسَّيفِ**»[6] رواه الترمذى

باب السحر، وباب شىء من أنواع السحر

وجه إدخال السحر فى أبواب التوحيد أن كثيرا من أقسامه لا يتأتى إلا بالشرك والتوسل بالأرواح الشيطانية إلى مقاصد الساحر فلا يتم للعبد توحيد حتى يدع السحر كله قليله وكثيره.

---

(١) سورة البقرة آية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء آية: (٥١).

(٣) تفسير الطبرى (٤/ ٥/ ٨٣) إسناده ضعيف. تفسير ابن كثير (١/ ٤٨٥) إسناده ضعيف.

(٤) تفسير ابن كثير (١/ ٤٨٦) إسناده حسن.

(٥) البخارى: ك(٥٥) ب(٢٣) ح(٢٧٦٦) وطرفاه (٥٧٦٤، ٦٨٥٧)، مسلم: ك(١) ب(٣٨) ح(٨٩). أبو داود: ك(١٢) ب(١٠) ح(٢٨٧٤) صحيح لغيره. النسائى: ك(٣٠) ب(١٢) ح(٣٦٧٣) صحيح.

(٦) الترمذى: ك(١٧) ب(٢٧) ح(١٤٩٥) ضعيف.

وقال الصحيح أنه موقوف.

وفى صحيح البخارى عن بجالة بن عبدة قال كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه: أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، قال: فقتلنا ثلاث سواحر[1].

وصح عن حفصة رضى الله عنها «أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقتلت»[2]. وكذلك صح عن جندب:

قال أحمد عن ثلاثة من أصحاب النبى ﷺ.

«فيه مسائل»

الأولى: تفسير آية البقرة.

الثانية: تفسير آية النساء.

الثالثة: تفسير الجبت والطاغوت والفرق بينهما.

ولهذا قرنه الشارع بالشرك، فالسحر يدخل فى الشرك من جهتين:

من جهة ما فيه من استخدام الشياطين ومن التعلق بهم وربما تقرب إليهم بما يحبون ليقوموا بخدمته ومطلوبه.

ومن جهة ما فيه من دعوى علم الغيب ودعوى مشاركة الله فى علمه وسلوك الطرق المفضية إلى ذلك، وذلك من شعب الشرك والكفر.

وفيه أيضا من التصرفات المحرمة، والأفعال القبيحة كالقتل، والتفريق بين المتحابين، والصرف، والعطف، والسعى فى تغيير العقول، وهذا من أفظع

---

(١) ليس فى البخارى ذلك النص وإنما ورد عند أبو داود وأبو يعلى وأحمد هذا النص من نفس طريق البخارى. البخارى: ك(٥٨) ب(١) ح(٣١٥٦)، ٣١٥٧). أبو داود: ك(١٤) ب(٣١) ح(٣٠٤٣) صحيح. أحمد: (١/ ١٩٠- ١٩١/ رقم: ١٦٦٢) صحيح. أبو يعلى: (١/ ٣٩٤/ رقم: ٨٥٧، ٨٥٨) صحيحان.

(٢) الموطأ: ك(٤٣) ب(١٨) ح(١٤) ضعيف.

الرابعة: أن الطاغوت قد يكون من الجن وقد يكون من الإنس.

الخامسة: معرفة السبع الموبقات المخصوصات بالنهى.

السادسة: أن الساحر يكفر.

السابعة: أنه يقتل ولا يستتاب.

الثامنة: وجود هذا فى المسلمين على عهد عمر. فكيف بعده؟

المحرمات، وذلك من الشرك ووسائله ولذلك تعيين قتل الساحر لشدة مضرته وإفساده.

ومن أنواعه الواقعة فى كثير من الناس النميمة لمشاركتهم للسحر فى التفريق بين الناس وتغيير قلوب المتحابين وتلقيح الشرور.

فالسحر أنواع ودركات بعضها أقبح وأسفل من بعض.

باب بيان شيء من أنواع السحر

قال أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا عوف عن حيان ابن العلاء، حدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه أنه سمع النبى ﷺ قال: «**إنَّ العِيَافَةَ وَالطرقَ وَالطِيَرَةَ مِنَ الجِبتِ**»[1].

قال عوف العيافة زجر الطير، والطرق الخط يخط بالأرض، والجبت قال الحسن: رنة الشيطان[2]. إسناده جيد.

ولأبى داود والنسائى وابن حبان فى صحيحه المسند منه[3].

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن اقتَبَسَ شُعبَةً مِنَ النَّجُوم فَقَد اقتَبَسَ شُعبَة مِنَ السِّحرِ، زَادَ مَا زَادَ**»[4] رواه أبو داود، وإسناده صحيح.

وللنسائى من حديث أبى هريرة: «**مَن عَقَدَ عُقَدةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَد سَحَرَ، وَمَن سَحَرَ فَقَد أَشرَكَ، وَمَن تَعَلَّقَ شَيئاً وُكِّلَ إِلَيه**»[5].

وعن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «**أَلاَ هَل أُنَبِّئُكُم مَا**

---

(١) (٣/٤٧٧/ رقم: ١٥٩٢١) ضعيف. أحمد (٥/ ٦٠/ رقم: ٢٠٦٢٨، ٢٠٦٢٩) ضعيفان.

(٢) أبو داود: ك(٢٢) ب(٢٣) ح(٣٩٠٨) إسناده صحيح مقطوع. أحمد: (٥/ ٦٠/ رقم: ٢٠٦٣٠) إسناده صحيح مقطوع.

(٣) أبو داود: ك(٢٢) ب(٢٣) ح(٣٩٠٧) ضعيف. النسائى: ك(٨٢) سورة النساء ب(٨٩) ح(١١١٠٨) ضعيف ابن حبان: (٧/٦٤٦/ رقم: ٦٠٩٨) ضعيف.

(٤) أبو داود: ك(٢٢) ب(٢٢) ح(٣٩٠٥) إسناده صحيح. ابن ماجه: ك(٣٣) ب(٢٨) ح(٣٧٢٦) إسناده صحيح. أحمد: (١/٢٢٧/ رقم: ٢٠٠٥) إسناده صحيح. (١/٣١١/ رقم: ٢٨٤٤) إسناده صحيح.

(٥) النسائى: ك(٣٧) ب(١٩) ح(٤٠٨٣) ضعيف ولجزء التعلق شاهد عند الترمذى برقم (٢١٦٢).

العضَّةُ؟ هى النَّمِيمَةُ القَالَةُ بَينَ النَّاسِ»[1] رواه مسلم.

ولهما عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحراً»[2].

«فيه مسائل»

الأولى: أن العيافة والطرق والطيرة من الجبت.

الثانية: تفسير العيافة والطرق والطيرة.

الثالثة: أن علم النجوم نوع من السحر.

الرابعة: أن العقد مع النفث من ذلك.

الخامسة: أن النميمة من ذلك.

السادسة: أن من ذلك بعض الفصاحة.

---

(١) مسلم: ك(٤٥) ب(٢٧) ح(٢٦٠٦) أحمد: (١/٤٣٧/ رقم: ٤١٥٩) صحيح.

(٢) البخارى: ك(٦٧) ب(٤٧) ح(٥١٤٦) وطرفه (٥٧٦٧) مسلم: ك(٧) ب(١٣) ح(٨٦٩) عن عمار وليس عبد الله بن عمر، راجع تحفة الأشراف (٥/٣٤٧). أبو داود: ك(٣٥) ب(٩٤) ح(٥٠٠٧) صحيح. الترمذى: ك(٢٧) ب(٨٠) ح(٢١٠٧) صحيح لغيره. مالك: ك(٥٦) ب(٣) ح(٧) صحيح. أحمد: (٢/١٦/ رقم: ٤٦٥٠) صحيح. (٢/٥٩/ رقم: ٥٢٣١) صحيح (٢/٦٢/ رقم: ٥٢٩٠) صحيح. (٢/٩٤/ رقم: ٥٦٨٩) صحيح.

باب ما جاء فى الكهان ونحوهم

روى مسلم فى صحيحه عن بعض أزواج النبى ﷺ قال: «**مَن أَتَى عَرَّافاً فسأَلَهُ عَن شَيءٍ فَصَدَّقَهُ لَم يُقبل لَهُ صَلاَةٌ أَربَعينَ يوماً**»(١).

وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «**مَن أَتَى كَاهناً فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَد كَفَرَ بِمَا أُنزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ** ﷺ»(٢) رواه أبو داود.

وللأربعة والحاكم، وقال: صحيح على شرطهما، عن أبى هريرة: «**مَن أَتَى عَرَّافاً أَو كَاهناً فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَد كَفَرَ بِمَا أُنزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ** ﷺ»(٣) ولأبى يعلى بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفا(٤).

وعن عمران بن حصين مرفوعا: «**لَيسَ منَّا مَن تَطَيَّرَ أَو تُطُيِّرَ لَهُ أَو تَكَهَّنَ أُو تُكُهِّنَ لَهُ أَو سَحَرَ أَو سُحِرَ لَهُ، وَمَن أَتَى كَاهناً فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ**

باب ما جاء فى الكهان ونحوهم

أى كل من يدعى علم الغيب بأى طريق من الطرق. وذلك أن الله تعالى هو المنفرد بعلم الغيب، فمن ادعى مشاركة الله فى شىء من ذلك بكهانة أو عرافة أو غيرها، أو صدق من ادعى ذلك فقد جعل . شريكا فيما هو من خصائصه، وقد كذب الله ورسوله.

---

(١) مسلم: ك(٣٩) ب(٣٦) ح(٢٢٣٠) أحمد: (٤/٦٨/ رقم: ١٦٦٤٣) صحيح. (٥/٣٨/ رقم: ٢٣٢٨٤) صحيح.

(٢، ٣) على التمام فى بعض المتون وباختصار فى البعض أبو داود: ك(٢٢) ب(٢١) ح(٣٩٠٤) حسن لغيره. الترمذى: ك(١) ب(١٠٢)ح(١٣٥) حسن لغيره. النسائى الكبرى: (٧٩) ب(٣١) ح(٩٠١٦، ٩٠١٧)حسن لغيره ابن ماجه: ك(١) ب(١٢٢) ح(٦٣٩) حسن لغيره. الدارمى: ك(١) ب(١٤) ح(١١٣٦) حسن لغيره. أحمد: (٢/٤٠٨/ رقم: ٩٣١٠) حسن لغيره. (٢/٤٢٩/ رقم: ٩٥٤٨) حسن لغيره. (٢/٤٧٦/ رقم: ١٠١٧٧) حسن لغيره. الحاكم: ك(١/٨/ رقم: ١٥) صحيح من رواية محمد عن أبى هريرة، وحسن لغيره من رواية خلاس.

(٤) أبو يعلى (٥/١٧٩/ رقم: ٥٣٨٦) حسن لغيره موقوف له حكم الرفع.

فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ» رواه البزار بإسناد جيد[1].

ورواه الطبرانى فى الأوسط بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله: «وَمَن أَتَى»[2] إلى آخره.

قال البغوى: العراف الذى يدعى معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك.

وقيل: هو الكاهن، والكاهن هو الذى يخبر عن المغيبات فى المستقبل.

وقيل: الذى يخبر عما فى الضمير.

وقال أبو العباس بن تيمية: العراف اسم للكاهن، والمنجم والرمال ونحوهم، ممن يتكلم فى معرفة الأمور بهذه الطرق.

وقال ابن عباس فى قوم يكتبون أبا جاد، وينظرون فى النجوم ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق[3].

فيه مسائل

الأولى: أنه لا يجتمع تصديق الكاهن مع الإيمان بالقرآن.

وكثير من الكهانة المتعلقة بالشياطين لا تخلو من الشرك والتقرب إلى الوسائط التى تستعين بها على دعوى العلوم الغيبية، فهوشرك من جهة دعوى مشاركة الله فى علمه الذى اختص به.

ومن جهة التقرب إلى غير الله.

وفيه إبعاد الشارع للخلق عن الخرافات المفسدة للأديان والعقول.

---

(١) قال فى المجمع(٥/١١٧) رواه البزار ورجاله رجال الصحيح خلا إسحاق بن الربيع وهو ثقة.

(٢) الطبرانى فى الأوسط (٤/٣٠١/ رقم: ٤٢٦٢) حسن لغيره.

(٣) الطبرانى (١١/ ٣٥/ ١٠٩٨٠) موضوع.

الثانية: التصريح بأنه كفر.

الثالثة: ذكر من تكهن له.

الرابعة: ذكر من تطير له.

الخامسة: ذكر من سحر له.

السادسة: ذكر من تعلم أبا جاد.

السابعة: ذكر الفرق بين الكاهن والعراف.

باب ما جاء فى النشرة

عن جابر أن رسول الله ﷺ سُئِلَ عَنِ النَّشرَةِ؟ فقال: «**هِىَ مِن عَمَلِ الشَّيطَانِ**»[1]. رواه أحمد بسند جيد وأبو داود. وقال: سئل أحمد عنها؟ فقال ابن مسعود ـ يكره هذا كله.

وفى البخارى عن قتادة ـ قلت لابن المسيب رجل به طب أو يؤخذ عن امرأته أيحل عنه أو ينشر؟ قال لا بأس به؟ إنما يريدون به الإصلاح فأما ما ينفع فلم ينه عنه[2]، انتهى.

وروى عن الحسن أنه قال: لا يحل السحر إلا ساحر.

قال ابن القيم: النشرة حل السحر عن المسحور، وهى نوعان:

حل بسحر مثله وهو الذى من عمل الشيطان. وعليه يحمل قول الحسن فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب فيبطل عمله عن المسحور. والثانى: النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة فهذا جائز.

فيه مسائل

الأولى: النهى عن النشرة.

الثانية: الفرق بين المنهى عنه والمرخص فيه مما يزيل الإشكال.

(باب النشرة)

وهو حل السحر عن المسحور، ذكر فيه المصنف كلام ابن القيم فى التفصيل بين الجائز منه والممنوع، وفيه كفاية.

(١) أبو داود: ك(٢٢) ب(٩) ح(٣٨٦٨) إسناده صحيح. أحمد: (٣/ ٢٩٤/ رقم: ١٤١٤٣) إسناده صحيح.

(٢) البخارى: ك(٧٦) ب(٤٩).

باب ما جاء فى التطير

وقول الله تعالى: ﴿**أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ**﴾[1] وقوله: ﴿**قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ**﴾[2] الآية.

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لاَ عَدوَى وَلاَ طِيَرَةَ وَلاَ هَامَةَ وَلاَ صفر**»[3] أخرجاه.

زاد مسلم ـ «**وَلاَ نَوء وَلاَ غُولَ**».

ولهما عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**لاَ عَدَوى وَلاَ طِيَرَةَ وَيُعجِبُنِى الفَأَلُ. قالوا ـ وما الفأل قال: الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ**»[4].

(باب الطيرة)

وهو التشاؤم بالطيور، والأسماء، والألفاظ، والبقاع، وغيرها، فنهى الشارع عن التطير وذم المتطيرين، وكان يحب الفأل ويكره الطيرة.

---

(١) سورة الأعراف آية: (١٣١).

(٢) سورة يس آية: (١٩).

(٣) البخارى: ك(٧٦) ب(١٩) ح(٥٧٠٧) وأطرافه (٥٧١٧، ٥٧٥٧، ٥٧٧٠، ٥٧٧٣، ٥٧٧٥) مسلم: ك(٣٩) ب(٣٣) ح(٢٢٢٠). وزيادة مسلم برقم (٢٢٢٠) عنه (٢٢٢٢) عن جابر، أبو داود: ك(٢٢) ب(٢٤) ح(٣٩١١) وما بعده صحيح. النسائى الكبرى: ك(٧٠) ب(٦٢) ح(٧٥٩١، ٧٥٩٢) صحيحان. أحمد: (٢/ ٣٢٧/ رقم: ٨٣٦٤) صحيح لغيره. (٢/ ٣٩٧/ رقم: ٩١٨٩) صحيح لغيره.

(٤) البخارى ك(٧٦) ب(٤٤) ح(٥٧٥٦) وطرفه (٥٧٧٦) مسلم: ك(٣٩) ب(٣٤) ح(٢٢٢٤). أبو داود: ك(٢٢) ب(٢٤) ح(٣٩١٦) صحيح. الترمذى: ك(٢١) ب(٤٦) ح(١٦٧٤) صحيح. ابن ماجه: ك(٣١) ب(٤٣) ح(٣٥٣٧) صحيح. أحمد (٣/ ١١٨/ رقم: ١٢١٨٦)، (٣/ ١٥٤/ رقم: ١٢٥٧١)، (٣/ ١٧٣/ رقم: ١٢٧٨٤)، (٣/ ١٧٨/ رقم: ١٢٨٢٨)، (٣/ ٢٥١/ رقم: ١٣٦٤٠)، (٣/ ٢٧٦/ رقم: ١٣٩٢٨)، (٣٠/ ٢٧٧ـ ٢٧٨/ رقم: ١٣٩٥٧) صحاح.

ولأبى داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر قال (ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال: «**أَحسَنُهَا الفَأْلُ وَلاَ ترد مُسلماً فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُم مَا يَكرَهُ فَليَقُل ـ اللَّهُمَّ لاَ يَأتى بالحَسَنَاتِ إِلاَّ أَنتَ وَلاَ يَدفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلاَّ أَنتَ، وَلاَ حَولَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِكَ**»[1].

وله من حديث ابن مسعود مرفوعاً: «**الطَّيَرَةُ شِركٌ، الطِّيَرَةُ شِركٌ، وَمَا مِنَّا إِلاَّ.. وَلَكِنَّ الله يُذهِبه بِالتَّوَكُّلِ**»[2] رواه أبو داود والترمذى وصححه وجعل آخره من قول ابن مسعود.

ولأحمد من حديث ابن عمرو: «**مَن رَدَّتهُ الطِّيَرَةُ عَن حَاجَته فَقَد أَشرَكَ**» قالوا فما كفارة ذلك؟ قال: «**أَن يَقولَ اللَّهُمَّ لاَ خَيرَ إِلاَّ خَيرُكَ، وَلاَ طَيرَ إِلاَّ طَيرُكَ وَلاَ إِلَه غَيرُكَ**»[3].

وله من حديث الفضل بن العباس: «**إِنَّمَا الطِّيَرَةُ مَا أَمضَاكَ أَو رَدَّكَ**»[4].

والفرق بينهما: أن الفأل الحسن لا يخل بعقيدة الإنسان ولا بعقله وليس فيه تعليق القلب بغير الله بل فيه من المصلحة النشاط والسرور وتقوية النفوس على المطالب النافعة.

وصفة ذلك أن يعزم العبد على سفر أو زواج أو عقد من العقود أو على حالة من الأحوال المهمة ثم يرى فى تلك الحال ما يسره أو يسمع كلاما يسره مثل يا

---

(١) أبو داود: ك(٢٢) ب(٢٤) ح(٣٩١٩) ضعيف والصحيح أن اسم الراوى عروة بن عامر.

(٢) أبو داود: ك(٢٢) ب(٢٤) ح(٣٩١٠) صحيح. الترمذى: ك(٢١) ب(٤٦) ح(١٦٧٣) صحيح. ابن ماجه: ك(٣١) ب(٤٣) ح(٣٥٣٨) صحيح. أحمد:(١/ ٣٨٩/ رقم: ٣٦٨٦) صحيح. (١/ ٤٣٨/رقم: ٤١٧٠) صحيح. (١/ ٤٤٠/ رقم: ٤١٩٣) صحيح.
فائدة قوله (وما منا إلا..) موقوف من قول ابن مسعود.

(٣) أحمد: (٢/ ٢٢٠/ رقم: ٧٠٦٣) صحيح لغيره عدا قوله (قالوا: وما كفارة) فإسناده حسن.

(٤) أحمد: (١/ ٢١٣/ رقم: ١٨٢٩) ضعيف.

فيه مسائل

الأولى: التنبيه على قوله: ﴿أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ﴾ مع قوله: ﴿طَائِرُكُم مَّعَكُم﴾.

الثانية: نفى العدوى.

الثالثة: نفى الطيرة.

الرابعة: نفى الهامة.

الخامسة: نفى الصفر.

السادسة: أن الفأل ليس من ذلك، بل مستحب.

السابعة: تفسير الفأل.

راشد أو سالم أو غانم، فيتفائل ويزداد طمعه فى تيسير ذلك الأمر الذى عزم عليه، فهذا كله خير وآثاره خير، وليس فيه من المحاذير شىء.

وأما الطيرة فإنه إذا عزم على فعل شىء من ذلك من الأمور النافعة فى الدين أو فى الدنيا، فيرى أو يسمع ما يكره أثر فى قلبه أحد أمرين، أحدهما أعظم من الآخر.

أحدهما: أن يستجيب لذلك الداعى فيترك ما كان عازمًا على فعله أو بالعكس فيتطير بذلك وينكص عن الأمر الذى كان عازما عليه، فهذا كما ترى قد علق قلبه بذلك المكروه غاية التعليق وعمل عليه، وتصرف ذلك المكروه فى إرادته وعزمه وعمله، فلا شك أنه على هذا الوجه أثر على إيمانه وأخل بتوحيده وتوكله، ثم بعد هذا لا تسأل عما يحدثه له هذا الأمر من ضعف القلب ووهنه وخوفه من المخلوقين وتعلقه بالأسباب وبأمور ليست أسبابا، وانقطاع قلبه من تعلقه بالله، وهذا من ضعف التوحيد والتوكل ومن طرق الشرك ووسائله، ومن الخرافات المفسدة للعقل.

الثامنة: أن الواقع فى القلوب من ذلك مع كراهته لا يضر بل يذهبه الله بالتوكل.

التاسعة: ذكر ما يقول من وجده.

العاشرة: التصريح بأن الطيرة شرك.

الحادية عشرة: تفسير الطيرة المذمومة.

الأمر الثانى: أن لا يستجيب لذلك الداعى ولكنه يؤثر فى قلبه حزنا وهما وغما، فهذا وإن كان دون الأول لكنه شر وضرر على العبد، وضعف لقلبه وموهن لتوكله. وربما أصابه مكروه فظن أنه من ذلك الأمر فقوى تطيره، وربما تدرج به إلى الأمر الأول.

فهذا التفصيل يبين لك وجه كراهة الشارع للطيرة وذمها ووجه منافاتها للتوحيد والتوكل.

وينبغى لمن وجد شيئا من ذلك وخاف أن تغلبه الدواعى الطبيعية أن يجاهد نفسه على دفعها ويستعين الله على ذلك، ولا يركن إليها بوجه ليندفع الشر عنه.

باب ما جاء فى التنجيم

قال البخارى فى صحيحه: قال قتادة «خَلَقَ اللهُ هَذه النُّجُومَ لِثَلاث: زِينَةً للسَّمَاء وَرُجُوماً للشيَّاطين وَعَلاَمَات يُهتَدَى بِهَا، فَمَن تأَوَّلَ فِيهَا غَيرَ ذَلِك أَخطَأَ وَأَضَاعَ نَصِيبَهُ، وَتَكَلَّفَ مَا لاَ عِلمَ لَهُ بِهِ»[1] انتهى.

وكره قتادة تعلم منازل القمر، ولم يرخص ابن عيينة فيه، ذكره حرب عنهما.

ورخص فى تعلم المنازل أحمد وإسحاق.

وعن أبى موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لاَ يَدخُلُونَ الجَنَّةَ مُدمِنُ الخَمرِ، وَقَاطِعُ الرَّحِمِ، ومُصَدِّقٌ بِالسِّحرِ**»[2] رواه أحمد وابن حبان فى صحيحه.

باب ما جاء فى التنجيم

التنجيم نوعان:

نوع يسمى عِلمَ التَّأثِيرِ: وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الكونية فهذا باطل ودعوى لمشاركة الله فى علم الغيب الذى انفرد به أو تصديق لمن ادعى ذلك، وهذا ينافى التوحيد لما فيه من هذه الدعوى الباطلة، ولما فيه من تعلق القلب بغير الله ولما فيه من فساد العقل، لأن سلوك الطرق الباطلة وتصديقها من مفسدات العقول والأديان.

النوع الثانى: عِلمَ التَّسيِير وهو الاستدلال بالشمس والقمر والكواكب على القبلة والأوقات والجهات، فهذا النوع لا بأس به، بل كثير منه نافع قد حث عليه

---

(١) البخارى: ك (٥٩) ب (٣).

(٢) أحمد (٤/ ٣٩٩/ رقم: ١٩٥٨٨) حسن لغيره عدا الزيادة «**ومن مات مدمناً...**».
ابن حبان (٧/ ٣٣٦/ رقم: ١٩٥٨٨) حسن لغيره عدا الزيادة «**ومن مات مدمناً..**».

فيه مسائل

الأولى: الحكمة فى خلق النجوم.

الثانية: الرد على من زعم غير ذلك.

الثالثة: ذكر الخلاف فى تعلم المنازل.

الرابعة: الوعيد فيمن صدق بشىء من السحر، ولو عرف أنه باطل.

الشارع إذا كان وسيلة إلى معرفة أوقات العبادات أو إلى الاهتداء به فى الجهات.

يجب التفريق بين ما نهى عنه الشارع وحرمه. وبين ما أباحه أو استحبه أو أوجبه، الأول هو المنافى للتوحيد دون الثانى.

باب ما جاء فى الاستسقاء بالأنواء

وقول الله تعالى: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾[1].

وعن أبى مالك الأشعرى رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**أَربَعٌ فى أُمَّتى من أَمر الجَاهليَّة لاَ يتركُونَهُنَّ ـ الفَخرُ بالأَحسَاب وَالطَّعنُ فى الأَنسَاب والاَستسقَاءُ بالنُّجُوم، وقال: النَّائحَةُ إذَا لَم تَتُبْ قَبلَ مَوتهَا تُقَامُ يومَ القيَامَةَ وَعَلَيهَا سربَالٌ من قَطرَانٍ، ودرعٌ من جَرَبٍ**»[2] رواه مسلم.

ولهما عن زيد بن خالد رضى الله عنه قال: «صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على أثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: «**هَل تَدرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُم؟**» قالوا ـ الله ورسوله أعلم، قال: «**قَالَ أَصبَحَ من عبَادى مُؤمنٌ بى وَكَافرٌ، فأَمَّا مَن قَالَ ـ مطرنَا بفَضل الله ورَحمَته، فَذَلكَ مُؤمنٌ بى كَافرٌ بالكَوكَب**»، وأَمَّا مَن قَالَ: «**مُطرنَا بنَوء كَذا، وَكَذَا، فَذَلكَ كَافرٌ بى مُؤمنٌ بالكَوكَب**»[3].

ولهما من حديث ابن عباس معناه وفيه ـ قال بعضهم:

باب الاستسقاء بالنجوم

لما كان من التوحيد الاعتراف لله بتفرده بالنعم ودفع النقم، وإضافتها إليه قولا واعترافا واستعانة بها على طاعته كان قول القائل: مطرنا بنوء كذا وكذا ينافى هذا المقصود أشد المنافاة لإضافة المطر إلى النوء.

---

(١) سورة الواقعة آية: (٨٢).

(٢) مسلم: ك (١١) ب (١٠) ح (٩٣٤)، أحمد: (٥/ ٣٤٢ ـ ٣٤٣/رقم: ٢٢٩٦٩، ٢٢٩٧٠، ٢٢٩٧٨) صحاح.

(٣) البخارى: ك (١٠) ب (١٥٦) ح (٨٤٦) وأطرافه (١٠٣٨، ٤١٤٧، ٧٥٠٣)، مسلم: ك (١) ب (٣٢) ح (٧١)، الموطأ (١/ ١٩٢/رقم: ٤) صحيح.

(لَقَد مطرنا بنَوء كَذا وكذا. فأنزل الله هذه الآية)[1].

﴿ فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ إلى قوله ـ ﴿ تُكَذِّبُونَ ﴾[2].

فيه مسائل

الأولى: تفسير آية الواقعة.

الثانية: ذكر الأربع التى من أمر الجاهلية.

الثالثة: ذكر الكفر فى بعضها.

الرابعة: أن من الكفر ما لا يخرج عن الملة.

الخامسة: قوله: «**أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر**» بسبب نزول النعمة.

السادسة: التفطن للإيمان فى هذا الموضع.

والواجب إضافة المطر وغيره من النعم إلى الله فإنه الذى تفضل بها على عباده.

ثم الأنواء ليست من الأسباب لنزول المطر بوجه من الوجوه وإنما السبب عناية المولى ورحمته وحاجة العباد وسؤالهم لربهم بلسان الحال ولسان المقال فينزل عليهم الغيث بحكمته ورحمته بالوقت المناسب لحاجتهم وضرورتهم.

لا يتم توحيد العبد حتى يعترف بنعم الله الظاهرة والباطنة عليه وعلى جميع الخلق ويضيفها إليه ويستعين بها على عبادته وذكره وشكره.

وهذا الموضع من محققات التوحيد وبه يعرف كامل الإيمان وناقصه.

---

(١) مسلم: ك (١) ب (٣٢) ح (٧٣) والحديث ليس عند البخارى راجع تحفة المزى (٤/ ٤٦٩).

(٢) سورة الواقعة الآيات (٧٥: ٨٢).

السابعة: التفطن للكفر فى هذا الموضع.

الثامنة: التفطن لقوله «لَقَد صَدَقَ نَوءُ كَذا وكَذا».

التاسعة: إخراج العالم للمتعلم المسألة بالاستفهام عنها لقوله: «**أَتَدرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُم؟**»

العاشرة: وعيد النائحة.

باب قول الله تعالى

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾[1].

وقوله: ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾[2].

عن أنس: أن رسول الله ﷺ قال: «لاَ يُؤمِنُ أَحَدُكُم حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيهِ مِن وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجمَعِينَ»[3] أخرجاه.

باب قول الله تعالى

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾.

أصل التوحيد وروحه إخلاص المحبة لله وحده وهى أصل التأله والتعبد له، بل هى حقيقة العبادة، ولا يتم التوحيد حتى تكمل محبة العبد لربه، وتسبق محبته جميع المحاب وتغلبها ويكون لها الحكم عليها بحيث تكون سائر محاب العبد تبعا لهذه المحبة التى بها سعادة العبد وفلاحه.

ومن تفريعها وتكميلها الحب فى الله، فيحب العبد ما يحبه الله من الأعمال والاشخاص، ويبغض ما يبغضه الله من الأشخاص والأعمال ويوالى أولياءه ويعادى أعداءه، وبذلك يكمل إيمان العبد وتوحيده.

أما اتخاذ أنداد من الخلق يحبهم كحب الله ويقدم طاعتهم على طاعة الله ويلهج بذكرهم ودعائهم فهذا هو الشرك الأكبر، الذى لا يغفره الله وصاحب هذا الشرك قد انقطع قلبه من ولاية العزيز الحميد، وتعلق بغيره ممن لا يملك له شيئا،

---

(١) سورة البقرة آية: (١٦٥). (٢) سورة التوبة آية: (٢٤).

(٣) البخارى: ك (٢) ب(٨) ح(١٥)، مسلم: ك (١) ب (١٦) ح (٤٤)، النسائى: ك (٤٧) ب(١٩) ح(٥٠١٦) صحيح لغيره(٥٠١٧، ٥٠١٨) صحيحان، ابن ماجه المقدمة ب (٩) ح(٦٧) صحيح، أحمد: (٣/ ١٧٧/ رقم: ١٢٨٢٠)، (٢٠٧/ رقم: ١٣١٥٦)، (٢٧٥/ رقم: ١٣٩١٩) (٢٧٨/ رقم: ١٣٩٦٧) صحاح.

ولهما عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثَلاَثٌ مَن كُنَّ فيه وَجَدَ بِهِنَّ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ، أَن يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيه مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَن يُحِبَّ المرءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ لله، وَأَن يَكرَهَ أَن يَعُودَ فِى الكُفرِ بَعدَ إِذ أَنقَذَهُ اللهُ مِنهُ كَمَا يَكرَهُ أَن يُقذَفَ فِى النَّارِ**»[1].

وفى رواية «**لاَ يَجِدُ أَحَدٌ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ حَتَّى**» إلى آخره[2].

وعن ابن عباس قال «مَن أَحَبَّ فِى الله، وَأَبغَضَ فِى الله، وَوَالَى فِى الله، وَعَادَى فِى الله، فَإِنَّمَا تَنَاوَلُ وِلاَيَةَ الله بِذلكَ، وَلَن يَجِدَ عَبدٌ طَعمَ الإِيمَانِ. وَإِن كَثُرَت صَلاتُهُ وَصَومُهُ حَتى يَكُونَ كَذَلكَ، وَقَد صَارَت عَامَّةُ مؤَاخَاةِ النَّاسِ عَلى أَمرِ الدُّنيَا، وَذلكَ لاَ يُجدِى عَلَى أَهلِهِ شَيئاً» رواه ابن جرير.

وهذا السبب الواهى الذى تعلق به المشركون سينقطع يوم القيامة أحوج ما يكون العبد لعمله، وستنقلب هذه المودة والموالاة بغضا وعداوة.

واعلم أن أنواع المحبة ثلاثة أقسام:

الأول: محبة الله التى هى أصل الإيمان والتوحيد.

الثانى: المحبة فى الله وهى محبة أنبياء الله ورسله وأتباعهم، ومحبة ما يحبه الله من الأعمال والأزمنة والأمكنة وغيرهم، وهذه تابعة لمحبة الله ومكملة لها.

الثالث: محبة مع الله وهى محبة المشركين لآلهتهم وأندادهم من شجر، وحجر، وبشر، وملك، وغيرها وهى أصل الشرك وأساسه.

وهنا قسم رابع: وهو المحبة الطبيعية التى تتبع ما يلائم العبد ويوافقه من طعام

(١، ٢) البخارى ك (٢) ب (٩) ح (١٦) وأطرافه (٢١، ٦٠٤١، ٦٩٤١)، مسلم: ك (١) ب (١٥) ح (٤٣)، والترمذى: (٤٠) ب (١٠) ح (٢٧٦٩) صحيح لغيره، النسسائى: ك (٤٧) ب (٢) ح (٤٩٩٠، ٤٩٩١) صحيحان، ابن ماجه: ك (٣٦) ب (٢٣) ح (٤٠٣٣) صحح، أحمد: (٣/١٠٣/رقم: ١٢٠٠٨) (١٧٤/رقم: ١٢٧٨٩) (٢٣٠/رقم: ١٣٤١٢) صحاح..

وقال ابن عباس فى قوله ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾[1] قال: المودة[2].

فيه مسائل

الأولى: تفسير آية البقرة.

الثانية: تفسير آية براءة.

الثالثة: وجوب محبته ﷺ على النفس والأهل والمال.

الرابعة: أن نفى الإيمان لا يدل على الخروج من الاسلام.

الخامسة: أن للإيمان حلاوة قد يجدها الإنسان وقد لا يجدها.

السادسة: أعمال القلب الأربع التى لا تنال ولاية الله إلا بها. ولا يجد أحد طعم الإيمان إلا بها.

السابعة: فهم الصحابى للواقع ـ أن عامة المؤاخاة على أمر الدنيا.

الثامنة: تفسير ﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾.

التاسعة: أن من المشركين من يحب الله حبا شديدا.

العاشرة: الوعيد على من كانت الثمانية أحب إليه من دينه.

الحادية عشرة: أن من اتخذ ندا تساوى محبته محبة الله فهو الشرك الأكبر.

وشراب ونكاح ولباس وعشرة وغيرها، وهذه إذا كانت مباحة وإن أعانت على محبة الله وطاعته دخلت فى باب العبادات، وإن صدت عن ذلك وتوسل بها إلى ما لا يحبه الله دخلت فى المنهيات. والا بقيت من أقسام المباحات والله أعلم.

---

(١) سورة البقرة آية: (١٦٦).

(٢) تفسير الطبرى (٣/ ٢٩٠/رقم: ٢٤٢٣).

باب قول الله تعالى

﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1].

وقوله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ﴾[2] الآية.

وقوله: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾[3] الآية.

وعن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعا: «إنَّ من ضَعف اليَقين أَن تُرضِيَ النَّاسَ بسُخط الله، وأَن تَحمَدَهُم عَلَى رزق الله، وأن تَذُمَّهُم عَلَى مَا لَم يُؤتك اللهُ، إنَّ رِزق الله لا يَجُرُّهُ حِرصُ حَرِيصٍ، وَلاَ يَرُدُّهُ كَرَاهِيَةُ كَارِهٍ»[4].

باب قول الله تعالى

﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾

هذا الباب عقده المصنف رحمه الله لوجوب تعلق الخوف والخشية بالله وحده، والنهي عن تعلقه بالمخلوقين، وبيان أنه لا يتم التوحيد إلا بذلك.

ولابد في هذا الموضع من تفصيل يتضح به الأمر ويزول الاشتباه.

اعلم أن الخوف والخشية تارة يقع عبادة، وتارة يقع طبيعة وعادة وذلك بحسب أسبابه ومتعلقاته.

فإن كان الخوف والخشية خوف تأله وتعبد وتقرب بذلك الخوف إلى من يخافه

---

(١) سورة آل عمران الآية: (١٧٥).
(٢) سورة التوبة الآية: (١٨).
(٣) سورة العنكبوت الآة: (١٠).
(٤) الحلية: (٥/١٠٦)، (١٠/١٤) ضعيف، شعب الإيمان (١/٢٢١/رقم: ٢٠٧) ضعيف.

وعن عائشة رضى الله عنها: أن رسول الله ، قال: «**من التَمَسَ رِضَى الله بسُخط النَّاسِ رَضِىَ اللهُ عَنهُ وَأَرضَى عَنْهُ النَّاسَ، وَمَن التمسَ رِضَا النَّاسِ بِسُخَطِ اللهِ سَخِطَ اللهُ عَلَيهِ وَأَسخَطَ عَلَيهِ النَّاسَ**»[1]. رواه ابن حبان فى صحيحه.

فيه مسائل

الأولى: تفسير آية آل عمران.

وكان يدعو إلى طاعة باطنة وخوف سرى يزجر عن معصية من يخافه كان تعلقه بالله من أعظم واجبات الإيمان وتعلقه بغير الله من الشرك الأكبر الذى لا يغفره الله، لأنه أشرك فى هذه العبادة التى هى من أعظم واجبات القلب غير الله مع الله، وربما زاد خوفه من غير الله على خوفه لله.

وأيضا فمن خشى الله وحده على هذا الوجه فهو مخلص موحد ومن خشى غيره فقد جعل لله ندا فى الخشية كمن جعل لله ندا فى المحبة. وذلك كمن يخشى من صاحب القبر أن يوقع به مكروها أو يغضب عليه فيسلبه نعمة أو نحو ذلك مما هو واقع من عباد القبور.

وإن كان الخوف طبيعيا كمن يخشى من عدو أو سبع أو حية أو نحو ذلك مما يخشى ضرره الظاهرى، فهذا النوع ليس عبادة وقد يوجد من كثير من المؤمنين ولا ينافى الإيمان.

وهذا إذا كان خوفا محققًا قد انعقدت أسباب الخوف فليس بمذموم.

وإن كان خوفًا وهميا كالخوف الذى ليس له سبب أصلا، أو له سبب ضعيف فهذا مذموم يدخل صاحبه فى وصف الجبناء، وقد تعوذ ﷺ من الجبن هو من الأخلاق الرذيلة، ولهذا كان الإيمان التام والتوكل والشجاعة تدفع هذا النوع، حتى

---

(١) الترمذى: ك (٣٦) ب (٤٩) ح (٢٥٣٧) حسن لغيره، (٢٥٣٨) صحيح، ابن حبان: (١/ ٢٤٧/ رقم: ٢٦٧) صحيح لغيره، (٢٧٧) صحيح.

الثانية: تفسير آية براءة.

الثالثة: تفسير آية العنكبوت.

الرابعة: أن اليقين يضعف ويقوى.

الخامسة: علامة ضعفه، ومن ذلك: هذه الثلاث.

السادسة: إن إخلاص الخوف لله من الفرائض.

السابعة: ذكر ثواب من فعله.

الثامنة: ذكر عقاب من تركه.

أن خواص المؤمنين وأقويائهم تنقلب المخاوف فى حقهم أمنا وطمأنينة لقوة إيمانهم وشجاعتهم الشجاعة القلبية، وكمال توكلهم، ولهذا أتبعه بهذا الباب.

باب قول الله تعالى

﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1] الآية.

وقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[2] الآية.

وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[3].

وعن ابن عباس قال: حَسبنَا اللهُ ونِعمَ الوكيل) قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا له: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾[4] [5] الآية. رواه البخارى والنسائى.

فيه مسائل

الأولى: أن التوكل من الفرائض.

باب قول الله تعالى

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

التوكل على الله من أعظم واجبات التوحيد والإيمان، وبحسب قوة توكل العبد على الله يقوى إيمانه، ويتم توحيده، والعبد مضطر إلى التوكل على الله والاستعانة به فى كل ما يريد فعله أو تركه من أمور دينه أو دنياه.

وحقيقة التوكل على الله: أن يعلم العبد أن الأمر كله لله، وأنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه هو النافع الضار المعطى المانع، وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله، فبعد هذا العلم يعتمد بقلبه على ربه فى جلب مصالح دينه ودنياه،

---

(١) سورة المائدة: آية (٢٣).
(٢) سورة الأنفال آية: (٢).
(٣) سورة الطلاق: آية (٣).
(٤) سورة آل عمران آية (١٧٣).
(٥) البخارى: ك (٦٥) ب (١٣) ح (٤٥٦٣) وطرفه (٤٥٦٤)، النسائى الكبرى: ك (٨٢) سورة آل عمران ب (٧١) ح (١١٠٨١) صحيح.

الثانية: أنه من شروط الإيمان.

الثالثة: تفسير آية الأنفال.

الرابعة: تفسير الآية فى آخرها.

الخامسة: تفسير آية الطلاق.

السادسة: عظم شأن هذه الكلمة، وأنها قول إبراهيم عليه السلام ومحمد ﷺ فى الشدائد.

وفى دفع المضار ويثق غاية الوثوق بربه فى حصول مطلوبه، وهو مع هذا باذل جهده فى فعل الأسباب النافعة.

فمتى استدام العبد هذا العلم وهذا الاعتماد والثقة فهو المتوكل على الله حقيقة، وليبشر بكفاية الله له ووعده للمتوكلين، ومتى علق ذلك بغير الله فهو شرك، ومن توكل على غير الله وتعلق به وكل إليه وخاب أمله.

باب قول الله تعالى

﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾[1].

وقوله: ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ ﴾[2].

باب قول الله تعالى
﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ﴾

مقصود الترجمة أنه يجب على العبد أن يكون خائفا من الله، راجيا له راغبا راهبا، إن نظر إلى ذنوبه وعدل الله وشدة عقابه خشى ربه وخافه، وإن نظر إلى فضله العام والخاص وعفوه الشامل رجا وطمع، ان وفق لطاعة رجا من ربه تمام النعمة بقبولها وخاف من ردها بتقصيره فى حقها. وان ابتلى بمعصية رجا من ربه قبول توبته ومحوها وخشى بسبب ضعف التوبة والالتفات للذنب أن يعاقب عليها، وعند النعم والمسار يرجو الله دوامها والزيادة منها والتوفيق لشكرها، ويخشى بإخلاله بالشكر من سلبها، وعند المكاره والمصائب يرجو الله دفعها وينتظر الفرج بحلها، ويرجو أيضا أن يثيبه الله عليها حين يقوم بوظيفة الصبر ويخشى من اجتماع المصيبتين فوات الأجر المحبوب، وحصول الأمر المكروه إذا لم يوفق للقيام بالصبر الواجب، فالمؤمن الموحد فى كل أحواله ملازم للخوف والرجاء، وهذا هو الواجب وهو النافع، وبه تحصل السعادة، ويخشى على العبد من خلقين رذيلين:

أحدهما: أن يستولى عليه الخوف حتى يقنط من رحمة الله وروحه.

الثانى: أن يتجارى به الرجاء حتى يأمن مكر الله وعقوبته فمتى بلغت به الحال إلى هذا فقد ضيع واجب الخوف والرجاء اللذين هما من أكبر أصول التوحيد وواجبات الإيمان.

---

(١) سورة الأعراف آية: (٩٩).

(٢) سورة الحجر آية: (٥٦).

وعن ابن عباس: «أن رسول الله ﷺ سُئلَ عَن الكَبَائِرِ فقال: «**الشِّركُ بِاللهِ، وَاليَأسُ مِنْ رُوحِ اللهِ، والأَمنُ مِن مَكرِ اللهِ**».

وعن ابن مسعود قال: «أَكبَرُ الكَبَائِرِ: الإِشرَاكُ باللهِ وَالأَمنُ مِن مَكرِ اللهِ وَالقُنُوطُ مِن رَحمَةِ اللهِ وَاليَأسُ مِن رَوحِ اللهِ»[1] رواه عبد الرزاق.

وللقنوط من رحمة الله واليأس من روحه سببان محذوران.

أحدهما: أن يسرف العبد على نفسه ويتجرأ على المحارم فيصر عليها ويصمم على الإقامة على المعصية، ويقطع طمعه من رحمة الله لأجل أنه مقيم على الأسباب التى تمنع الرحمة فلا يزال كذلك حتى يصير له هذا وصفا وخلقا لازما. وهذا غاية ما يريده الشيطان من العبد. ومتى وصل إلى هذا الحد لم يرج له خير إلا بتوبة نصوح وإقلاع قوى.

الثانى: أن يقوى خوف العبد بما جنت يداه من الجرائم ويضعف علمه بما لله من واسع الرحمة والمغفرة ويظن بجهله أن الله لا يغفر له ولا يرحمه ولو تاب وأناب وتضعف إرادته فييأس من الرحمة، وهذا من المحاذير الضارة الناشئة من ضعف علم العبد بربه، وما له من الحقوق، ومن ضعف النفس وعجزها ومهانتها.

فلو عرف هذا ربه ولم يخلد إلى الكسل لعلم أن أدنى سعى يوصله إلى ربه وإلى رحمته وجوده وكرمه.

وللأمن من مكر الله أيضا سببان مهلكان:

أحدهما: اعراض العبد عن الدين وغفلته عن معرفة ربه وما له من الحقوق، وتهاونه بذلك فلا يزال معرضا غافلا مقصرا عن الواجبات منهمكا فى المحرمات حتى يضمحل خوف الله من قلبه ولا يبقى فى قلبه من الإيمان شىء لأن الإيمان يحمل على خوف الله وخوف عقابه الدنيوى والأخروى.

---

(١) عبد الرزاق: (١٠/ ٤٥٩/ رقم: ١٩٧٠١) إسناده حسن لغيره.

«فيه مسائل»

الأولى: تفسير آية الأعراف.

الثانية: تفسير آية الحجر.

الثالثة: شدة الوعيد فيمن أمن مكر الله.

الرابعة: شدة الوعيد فى القنوط.

السبب الثانى: أن يكون العبد عابدا جاهلا معجبا بنفسه مغرورا بعمله فلا يزال به جهله حتى يدل بعمله ويزول الخوف عنه، ويرى أن له عند الله المقامات العالية فيصير آمنا من مكر الله متكلا على نفسه الضعيفة المهينة، ومن هنا يخذل ويحال بينه وبين التوفيق إذ هو الذى جنى على نفسه.

فبهذا التفصيل تعرف منافاة هذه الأمور للتوحيد.

باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله

وقول الله تعالى: ﴿ **وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ** ﴾[1].

قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم[2].

وفى صحيح مسلم. عن أبى هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «**اثنتَان فى النَّاسِ هُمَا بِهِم كفرٌ: الطَّعنُ فِى النَّسَبِ وَالنِّيَاحَةُ عَلَى المَيت**»[3].

ولهما عن ابن مسعود مرفوعا: «**لَيسَ مِنَّا مَن ضَرَبَ الخُدُودَ وَشَقَّ الجُيُوبَ، وَدَعَى بِدَعوَى الجَاهِلِيَّةِ**»[4].

باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله

أما الصبر على طاعة الله، والصبر عن معصيته، فهو ظاهر لكل أحد أنهما من الإيمان بل هما أساسه وفرعه. فان الإيمان كله صبر على ما يحبه الله ويرضاه ويقرب إليه، وصبر عن محارم الله.

فإن الدين يدور على ثلاثة أصول:

تصديق خبر الله ورسوله وامتثال أمر الله ورسوله، واجتناب نهيهما.

فالصبر على أقدار الله المؤلمة داخل فى هذا العموم ولكن خص بالذكر لشدة الحاجة إلى معرفته والعمل به.

---

(١) سورة التغابن آية: (١١).

(٢) تفسير ابن جرير (١٢/ ٢٨/ ٨٠) وابن كثير (٤/ ٣٧٥).

(٣) مسلم: ك (١) ب (٣٠) ح (٦٧)، أحمد: (٢/ ٤٩٦/رقم: ١٠٤٤٥) صحيح.

(٤) البخارى: ك (٢٣) ب (٣٥) ح (١٢٩٤) وأطرافه (١٢٩٧، ١٢٩٨، ٣٥١٩)، مسلم: ك (١) ب (٤٤) ح (١٠٣)، الترمذى ك (١٠) ب (٢١) ح (١٠٠٣) صحيح، النسائى: ك (٢١) ب (١٧) ح (١٨٦٠) صحيح، ابن ماجه: ك (٦) ب (٥٢) ح (١٥٨٤) صحيح، أحمد: (١/ ٣٨٦/رقم: ٣٦٥٧) (٤٣٢/رقم: ٤١١٠) (٤٤٢/رقم: ٤٢١٤) (٤٥٦/رقم: ٤٣٦٠) (٤٦٥/رقم: ٤٤٢٩) صحاح.